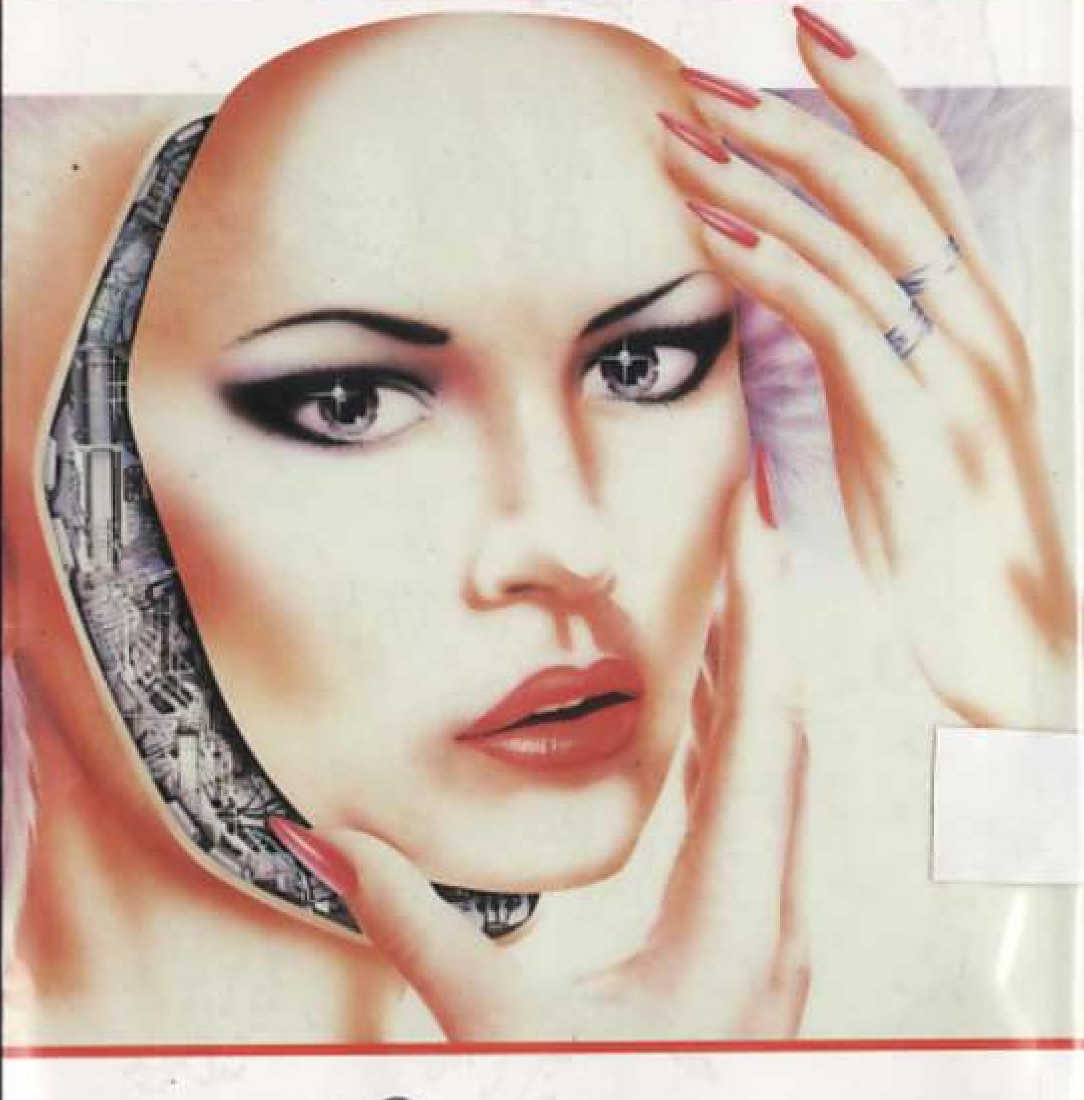
غـــادة السهـــان

الحبيب الافتـراضي

تقدمة : Akhawia.net

غادة السمّان

الحَبيبُ الافتراضِي



منشورات غادة السمان

منشورات غادة السمّان
بيروت ـ لبنان
ص.ب: ١١١٨١٣
الرمز البريدي: ٩٠ ٧٢٠ ١١٠
تلفون: ٠١/٣١٤٦٥٩
فاكس: ٣٠٩٤٧٠ ـ ١ ـ ٩٦١

الطبعة الأولى
كانون الثاني (يناير) ٢٠٠٥

□ **لوحة الغلاف الأمامي**: من إبداع باري ليبارد.

□ **لوحة الغلاف الخلفي**: المؤلّفة بريشة الفنان السوري المبدع **حسن أدلبي**.

إهداء إلى شجرة افتراضية

لا أهدي هذا الكتاب إلى حبيبي الافتراضي،

بل أهديه إلى الشجرة التي تمّ قصّها،

ليصدر هذا الكتاب؛

وأهديه، مع اعتذاري،

إلى الغابات في قارات عدّة، التي تمّ قصّ أشجارٍ منها لتصدر كتبي إلى لغات أهلها؛

وإلى الأشجار التي سيتمّ قصّها ما دمتُ على قيد الكتابة. . .

غادة

□ الحب والموت ما هما سوى أمر واحد.

- رونسار -

□ إني لأفتح عيني حين أفتحها

على كثيرٍ ولكن لا أرى أحدا

- دعبل الخزاعي -

□ ثمة راهب وجزار يتشاجران داخل كل رغبة.

- سيوران -

□ ربما كان الحب الكبير هو الحب غير المتبادل. أن تحب يعني أن تتألم. أن تكون محبوباً يعني أن تُسبِّب الألم.

- مارسيل بروست -

□ من الممكن بالتأكيد أن تحب، إذا كُنتَ لا تعرف المحبوب جيداً.

- شارلز بوكويسكي -

□ كفاني يا قلب ما أحمل

أفي كل يوم هوى أول؟

- الأخطل الصغير -

□ قال ما تبتغيه يبدو محالاً

قلت إن المحال مأمولي

- فريد الدين العطار -

(متصوف فارسي)

زمن الحبيب الافتراضي

أذعن لمنطق الألفية الثالثة في سان فرانسيسكو،
أقف فوق المنصة الرجراجة الزلزالية تحت بقعة ضوء. . .
وعلى عيني نظارات دنيا الحقيقة الافتراضية
لا شيء حقيقياً في ما أراه، لكنك وسيم وشهي داخلها.
أعياد الطفولة وأعمدة قصور القرن الماضي،
حجر رملي يتفتت بين أصابعي،
فأين المفر؟ الماضي رمال والمستقبل زئبق!
سمّاعتان على أذني.
الخلفية موسيقى «بروخنر» الصدئة النشازية، وصوت حفيدة
ميكي ماوس في «ديزني لاند»،
يرشدني كيف أغادر «موت لاند» إلى «تخدير لاند». . .
حبيبي الافتراضي يتقدم شهياً، كالموت في سباق السيارات،
حبيبي الافتراضي يتمدد على شاشة الإنترنت
ويخاطبني بصوت معدني بدلاً من صوت الريح.
مع حبيبي الافتراضي أرحل على أجنحة الـ «ويب»،
في كوكب بلا أشجار ولا عصافير ولا ذاكرة ولا أطفال،
لنشهد معاً على انتحار القمر. . .

النسيان الافتراضي للبنان

قالت الفراشة

للمصباح الذي انقطعت الكهرباء عنه في بيروت:

ما زلت أحبك، ولن أهجرك...

وسأظل أحوم حولك حتى في ظلمتك!

شطرنج الحرية الافتراضية

ماذا تريد أن تعرف عني؟ كم مرّة متّ؟
سيرة ميتاتي بالتفصيل واحدة بعد أخرى وعددها؟
الأرقام افتراضية مع امرأة دهرية وُئدت عصوراً،
وجُلدت زمناً وبيعت كجارية،
وأُحرقت على أوتاد الساحرات وجُلدت ورُجمت
وغادرت رمادها بعد ذلك كله ذات قطار،
واستطاعت أن تكتشف الفرح
ومتعة الرقص على ضفاف الرين والرون، والسين والسون،
في مدن تجهل لغة بعضها،
كأنها ولدت للتو في كوكب جديد تتعارف معه.
يكفي أن تعرف: أنني أحبك بميتاتي كلها
وبحيواتي كلها وبأحزاني كلها وبأسراري كلها...
وأنني شهرزاد التي لم يعد يُطاردها سيّافك
ولا تريد مطاردتك بسيفها الخاص
لثأر عتيق لها عليك أو على سواك...
ببساطة: أريد أن أحبك على شطرنج الحرية الافتراضية...
فهل ترضى؟

القلعة الافتراضية

حين مزجتُ حبري بدموعي
وبالمطر الذي يهطل من عيون الآخرين،
اكتشفتُ مفاتيح قلعة الأبجدية!

الرسائل القديمة الافتراضية

قراءة رسائل الحبيب الميت
أمر مرعب كاستحضار الأرواح . . . فحذار!
إنه هنا وليس هنا . . .
نقول ليتنا لم نفعل كذا وفعلنا ذاك ،
وحدنا نعرف ما وراء كل كلمة حقاً وكل فاصلة .
وحدنا لا نزال نسمع نبضهم خلف كل نقطة .
وحدنا يأتينا صوتهم نضراً من الورقة المتآكلة الصفراء .
وحدنا نعرف الطعم الحقيقي للمرارة والندم والوهم :
طعم المستحيل .

الذاكرة الافتراضية

لا وقت عندي لدفن موتاي،
عليَّ دائماً أن أختار بين زمن التأبين وزمن الحب.
وقد انحزتُ دائماً لحضارة الضوء وهربتُ من دهاليز النفتالين،
وحبيبٌ عادي في اليد
خير من عشرة عباقرة افتراضيين في الذاكرة!

حُبُكَ موتي الافتراضي

حذار من حكايا الحب القديمة،
لغم في لحم الذاكرة لا يمكن لخبير تعطيله.
حذار من الذكريات فهي حرف جر إلى التكرار.
حذار من حبيب لا يزيده الزمن إلا نضارة في القلب،
«لم تزل ليلى بعيني طفلة، لم تزد عن أمس إلا إصبعاً».
حذار من زين الشباب
أيتها البومة المتوحدة كطفل على باب ميتم
اهربي بجرحك إلى وكرك
داوي نفسك بجرعات كبيرة من اليأس.
حذار من سم الأمل، حذار،
«فكل رجل يقتل من يحب» بحقن في الشريان من سمّ الأمل،
وسيظل يطاردك حتى الأبدية ليقتلك بعد الموت مرات.
فقد أحبك مرة ونجوتِ منه.. حبيبك اللامنسي؟
إنه عدوّك الوحيد الحقيقي...
ما من رجل يغفر لامرأة لم يفلح في قتلها!

أنتِ نصب تذكاري على ضفته

وعليه أن يدمّره ليستمر. . . فاهربي أيتها الحمقاء.

فالحرب غير متكافئة. . . إنه الأكثر عزماً على القتل الافتراضي. .

الهربُ نصركِ في الحرب الافتراضية.

إنها الحرب الوحيدة التي يربحها الهارب!!

فاهربي. . .

«بيغ بانغ» افتراضي!

من حروفي شيّدتُ مركبة فضائية لأجلك.

حين صعدنا إليها، أدهشني أنها انطلقت حقاً وهبطت بنا فوق كوكب جديد مجهول تحفّه الظلمات.

ما كدتَ تطأه حتى صار له بحر وسماء وغابات وجبال.

في ليلتنا الأولى حين همستَ للمرة الأولى: أحبكِ.

صارت لكوكبنا مجرّة على وقع الانفجار الأكبر «البيغ بانغ».

ليلتها هطل المطر طويلاً ومدراراً...

تابوت افتراضي

كتب لها أحلى قصائده،
عن الغابات الشاسعة التي يريد أن يرتادها معها
ومدارات الكواكب التي سيحملها إليها
حين تدعه يطير بها إلى البعيد. . .
وعن السنوات الضوئية من مباهج الترحال في القارات الربيعية معها،
وكل ما كان يعنيه ببساطة متران طولاً بمتر عرضاً: سريرها.
وكانت توضب له مكاناً بالمقاسات ذاتها: تابوتاً في الذاكرة!

قارئة افتراضية

أرتمي بين أحضان سطورك
وأتحول إلى ظلٍ متماوج فوق ورقتك.
أنسل إلى الدورة الدموية لحروفك
فتدبّ فيّ الحياة وأُخلَقُ من ضلع أبجديتك.
أنا حواء الافتراضية
لا أصير حقيقية إلا حين أركض داخل دفتي كتابك
و«تتكوّن» لغتي على وهج إبداعك.
بك أتحوّل من «دودة قز» تزحف، إلى فراشة تُحلّق حريرها...
تصير محبرتي بحراً، وأصابعي قوس قزح
يشع بضوء كوكبك.
بك أيها الأمير، تصير حروفي عصافير...
وها هي تطير.

شنقتُ العدو بشريط «ميكروفون» افتراضي

قيل إن جدّي يُدعى طارق بن زياد. . .
أمامي ركام من «الفولكلور الخطابي» والحروب الافتراضية
وجثث أعدائي متدلية من ميكروفون صيحات التهديد.
ورائي تهرول الصواريخ النووية من جانب،
وخناجر قبيلتي البدائية من جانب آخر،
فأين المفر، وعلى أي جانبي أميل؟

امرأة الـ «دوت كوم» الافتراضية

أنا المرأة الافتراضية في أوطانٍ افتراضية
بتاريخ افتراضي مجيد،
تخوض حروباً افتراضية بجيوش افتراضية
على الإنترنت. . .
لكنها لا تزال تنشد: أمجاد يا عرب أمجاد!

امرأة النسيان الافتراضي

كأنني ما زلت أحبك،
أعود إليك وأنا أحمل جثة النسيان بين ذراعي،
بعد ألف عام وعام من التشرد والهزائم والانتصارات،
أحمل على ظهري حطام مراكب صيدي...
وهباب حروبي وجزري وجنازاتي البحرية.
أعود إليك بعد ألف عام وعام من التيه المالح،
مع «الملاّح العتيق» للشاعر كولريدج،
وألف عام وعام من الانتحاب
مع غراب الشاعر إدغار ألن بو،
ومن الصراخ في العواصف كالملك لير، والهذيان كهاملت،
والغيرة كعطيل، والانكسار كروميو.
دوماً أعود إلى ربوعك ربما لأغتالك في ذاكرتي،
وأطعنك بقلمي المدبّب،
وأنصب لك الفخاخ في غابات حروفي،
ثم أرقص طوال الليل فوق جثة زمننا مع بومتي.

لكنني أعترف: أبكي فراقك بين وقت وآخر،
خلسة عن بومتي
وخلسة عن نفسي.

اللحظات اللاافتراضية

«لحظتان» كبيرتان يجهلهما المرء ولا يعيهما:
لحظة ولادته، ولحظة وفاته، وبحبك وعيتهما.
بك تتقد روحي وذاكرتي،
وأصير قادرة على أن أتذكر مشاعري، حتى وأنا في رحم أمي،
وأعي بوضوح رفضي للخروج منه إلا بمشرط الجرّاح،
كعرّافة تدري ما ينتظرها حين تغادر مغارة الأمان!
لقد وعيتُ كل ميتة من ميتاتي بك،
وسأذكرك بحنان وأنا أعاقر موتي الأخير.

«المترو» الافتراضي

انتظرت بشوقٍ وصول القطار الأخير.
وحين وصل، لم أصعد...
وتأملته وهو يمضي،
ونمتُ على رصيف المحطة وأنا أحلم به!

امرأة وهمية في أوطان افتراضية

أذهب إلى عملي كل صباح في شارع نكدونيا،
وأمر بتمثال نكدونيا الشاهق،
وأعود مساء إلى بيتي في ضاحية نكدونيا،
وأسمع قبل نومي الأناشيد في مدح نكدونيا
بعد خطبة حماسية لنكدونيا.
وهكذا تزوجت من أحد فتيان نكدونيا،
فهو وسيم بشاربين كشاربي نكدونيا
وأنجبت صبياً سميته نكدونيا.
لكنني أجهل سر تعاستي،
على الرغم من ذلك الهناء كله
الذي أرفل فيه في نكدونيا
ويتغنى به الشعراء والمطربون ليل نهار.
لِمَ أنا وهمية وتعاستي وحدها حقيقية؟
ولماذا أهرب كل ليلة من نكدونيا حين أنام،
وتحملني الأحلام إلى كوكب وهمي خاص بي
لا أثر فيه لنكدونيا؟

عروس افتراضية اسمها «ڤيزا»

حمل الشبان حقائبهم وتوابيتهم
واصطفوا مع الفجر أمام باب القنصلية السحرية يستجدون
تأشيرة سفر إلى قارة أخرى،
يتنافسون على عروس اسمها «ڤيزا».
يحلمون بالرحيل معها، بحثاً عن زمن آخر، ورغيف آخر،
وموت آخر...
وجلاّد آخر!

أعيش بقلب افتراضي

ترتدي أحزاني ثياباً جديدة عصرية لندنية وباريسية.
لكنها أحزان قادمة من عالمي العتيق الحزين
كالناي الذي كان ينوح في حارات دمشق القديمة خلف الجامع الأموي،
حيث بيت أجدادي منذ مئات السنين.
أنا امرأة تعيش بقلب مزروع
تدور حول العالم به... ترحل وتكتب
وتثرثر بعدة لغات ولكن بقلب مزروع:
إنه قلب جدي الذي ما زال ينبض في صدري.

حبيب افتراضي، رسّام حقيقي

لم أُلاحظ قبل الليلة أن دموعك ملونة،
وأن للدم الذي يسيل في عروقك لون قوس قزح.
لم ألاحظ قبل الليلة
أن رأسك من غمام وجسدك من دخان.
لم أُلاحظ ذلك كله إلا حين قُلتَ لي أُحبكِ ولم أصدقك.
وأحببتني لأنني لم أصدقك!
معك عرفت كيف تدوم اللحظة أبدية بطولها،
وكيف يكون الحبيب واحداً ومتعدداً في آن،
وكيف يصير الحب الافتراضي لوحة فنية خالدة.

شاعر افتراضي

يثرثر من على المنابر عن الشهداء في «كليشيهات»
معلبة وهو يقرع طبول الرطانة
ويقوم بتخوين من لا يصفق له. . .
يأتي شهيد ويطعنه في لسانه
فقط كي يكفّ عن التكسب بدمه. . .
وكي يدعه ينام بسلام في رقدته الأخيرة.

مبدع غير افتراضي

الشاعر ينثر دمه حوله،
أبجديةً من غبار النجوم وموسيقى اللانهايات في مدارات
الضوء...
الشاعر ينزف دمه، والكل يطرب
بينما هو يحتضر على طول عمره...

سيرة ذاتية لروائية افتراضية

وحيدة عشتُ غرباتي غربة بعد أخرى،
وتجرعت تشردي كأساً بعد آخر،
وشربت نخب وحشتي ليلاً بعد آخر،
ميتاكسا أوزو، وكوانترو، وبندكتين، وماتيوس
وموتون كاديه، وتوم كولينز، وجين تونيك. . .
أنا عوليس الذي ضيع دربه إلى الوطن دهراً.
وأنا سيزيف الذي يحمل صخرته كل يوم ويعاود الصعود العبثي.
وأنا أنتيغون الحمقاء عاشقة القِيَم.
وأنا ديدمونة التي خنقها عطيل الأسمر حتى مخمل الليل.
أنا عنترة المقاتل بلا خطوط رجعة.
أنا دونكيشوت الأحمق التاريخي التائه بين طواحين الهواء.
أنا روبنسن كروزو الوحيد في جزيرته.
أنا الدكتور جيكل والمستر هايد ببراءته وشروره.
أنا المقهور الكونت دي مونت كريستو
الذي غدر به أحبابه وعاد لينتقم.

أنا إزميرالدا، غجرية فيكتور هوغو الراقصة أمام «نوتردام» يس.
وأنا سيرسا الأسطورية بأفاعيها.
أنا شجرة الدرّ التي قتلت من تحب.
أنا بنت المستكفي، ولأدة العاشقة المهزومة.
أنا المرأة التي صرخت مرة: «وامعتصماه».
وأنا أبو زيد الهلالي راوي الحكايا والأكاذيب الحلوة.
وأنا زنوبيا التي أخذها الروم سبية ولم تركع...
ولأنني روائية افتراضية، أنا «الجميع» وأنا «لا أحد»....
أنا ابنة الأحزان كلها والمدن كلها والحضارات كلها...
لكنني،
ما زلت حتى اليوم تلك الطفلة التي تتعلّم المشي
في زقاق الياسمين الدمشقي خلف الجامع الأموي!

الحرية غير الافتراضية

عدتُ إلى البيت في أجمل منفى في العالم: باريس،
حزينة، يقطر مني المطر كجورب مبتل لتلميذة صغيرة
لم تترك بركة لم تقفز فيها في الشوارع العاصفة...
عدتُ أغازل أجمل منفى في العالم،
وعيني على بلد لامنسي اسمه لبنان.
لم يترك البعض لنا في الوطن
إلا حرية الانتحار أو الرحيل، فتعلّمنا التنفس تحت الماء كالأسماك!
وأتقنّا الطيران في الفضاء كالعصافير...
عبثاً يفرغون هواء الروح من الأوكسجين،
ويقصّون أشجار الغابات...
سنظل نُحلّق ونبني أعشاش الكلمة الحرّة داخل الغيوم!

الموت الافتراضي

حبك لي حب افتراضي،
وفاؤك لي وفاء افتراضي،
وحده موتي الافتراضي حقيقي كالتنفس.

العناكب المعدنية الافتراضية

أغمض عيني لأراهم بوضوح عبر المحيطات والقارات:
عناكب سوداء عملاقة،
في مكتب بيضاوي،
تلتهم «الهامبرغر» وتتجرع «الكولا» وتتجشأ...
وهي منكبّة على الخرائط لاختيار ألطف سبيل تزرع
الديناميت في شراييني
لتفجير الكرة الأرضية بحرائق هولاكو والتتار..
خائفة، والخوف نفسه خاف واختبأ..
من حروب إمبراطورية القرود.

السلام الافتراضي

أضمُّ بومتي المذعورة إلى صدري
وأتستر على أحزاني ومخاوفي،
وارتجاف عظامي في الظلمة على إيقاع طبول الجنون
كمن يتستر على عاهة.
ألا تخجل من نفسك أيها العاشق للوئام وللفرح،
أيها المريض الكاره للعنف، ورائحة الدم والحرائق؟
لا تقلق.. مصحّات حاملات الطائرات ستعالجك من «وباء
السلام» كأي محتل آخر،
ما دُمتَ لا تعرف أين يختبئ القلب من قرع طبول الحرب.

الفراق الافتراضي

أريد أن أهرب من كل شيء إلى حبك.
أريد أن أكتب لك رسائل الحب.
ألا يقضي الليل وقته في كتابة رسائل الحب إلى النهار،
لأنهما لا يلتقيان؟

الحبيب الفرنسي الافتراضي

تعبتُ من حمل جثث قتلاي على مر العصور
وحفر القبور والانتحاب الكربلائي.
تعبت من تمزيق ثوبي الأسود بمخالب أحزاني،
لم يعد بوسعي نزف دمي السرّي في أمسيات الهلع
ولا رفع أعلام النواح والمديح والهجاء.
أريد أن أعبر النفق الأزرق لعينيك
إلى جزر آكلي اللوتس والنسيان،
إلى بلاد الأعلام الخضر للفرح البريء بدلاً من الرايات
السود.
فهلاّ منحتَني تأشيرة دخول إلى كوكبك؟

«ميا كولبا» افتراضية

أنا الحمقاء الأزلية،
مرة أخرى جئتُ بالدبّ إلى كرمي،
ويدهشني أنه يدوس عناقيدي!

حروب افتراضية

لأنني امرأة من العالم العتيق
لا تحب «الكاوبوي» الانتهازي،
ثمة ثقب في ذاكرتي
بعدما اختلطت الحروب داخل شراييني.
أهذه هي الحرب العالمية الثالثة،
أم حرب القردة قبل أن تبلغ طور إنسان الـ «نياندرتال»؟

حكاية افتراضية

ابن الخادمة ذهب ومات من أجل الوطن . .

أما قائده الروحي ،

فقد ذهب إلى حفل التأبين ورثاه بخطبة عصماء .

وصفّقوا له تحت «فلاشات» المصورين ،

وظهر على شاشات التلفزيون ،

وتلقى «التهاني» ، والتعازي !

وفي غمرة الانتشاء الجِدادي ،

علّقوا رسمه على باب بيت «الراحل» بدلاً من صو

الراحل . . .

العمر الافتراضي

حت عيني على قرع طبول الحرب الإسرائيلية،
سأغلقهما على قرع طبول الحرب الأميركية.
كان العمر طيران عصفور بين قذيفتين،
وكلمة على سطر، أو كلمتين!
ولولا حبك لما صدّقت أنني عشتُ،
ولأقسمتُ بأنني ولدتُ داخل قبري...

حوار صحفي افتراضي

- أيتها المرأة، ما الذي تكتبينه في الحروب؟

● أكتب سكوتي، فأنت لا تستطيع أن تسوق الإبداع إلى الخدمة الإجبارية.

- أيتها المرأة، اصرخي وقومي بواجبك في «المعركة».

● واجبي الوحيد هو أن أتقن أبجديتي... وصوت القذائف يغطي على أصوات الآلات الكاتبة.

- هاربة من المعركة؟

● هاربة من الزيف إلى معركتي الحقيقية:

خلق معادل إبداعي للمأساة العربية أو الصمت.

- وحبيبك المناضل؟

● أهديته قلم حبر فوقّع به وثيقة الطلاق مني!

- وحبيبك الافتراضي، المناضل الثاني؟

● لم يستشرني يوماً ولم يستمع لي وقمعني.. يريدني مدّاحة له تُلمّع حذاء نرجسيته، أو شتّامة لعدوه.. المديح والهجاء ماتا في لغتي...

- ماهي لغتك؟

● الحوار، وقد اغتالها المناضل الافتراضي بعون عدوه!!
هذا هو المشترك بينهما...

- ماذا تعنين؟

● أعني أنهما متشابهان.. كلاهما لغته العنف لكن أحدهما أقوى من الآخر وهذا كل شيء.

- ماذا تعنين؟

● أعني أن سمكة صغيرة حاولت ابتلاع سمكة أصغر منها، جاءت سمكة أكبر منهما بكثير لابتلاعهما وبقية أسماك «الأكواريوم».

حرب النجوم الافتراضية

لا تخف، ستشرق الشمس غداً
حتى ولو متنا ولم نصحْ مع الديكة!

اللعنة الافتراضية: ما زلتُ أحبك!

إذا قلت لي «أحبك» حتى وأنت كاذب، سأسقط في فخ عينيك وأنسى الحروب والحرائق وأحيا بصدق لحظة كذبك، وابتهج..

إذا قلت لي «أحبك»، سيعود القلب طفلاً تنشد له الرسوم المتحركة والدمى، ويعانق الذئب ليلى، وتقبل «بيضاء الثلج» أقزامها السبعة، ويهبط ذكاء أينشتاين على جحا...

وتهرب ليلى العامرية مع قيس، وولاّدة مع ابن زيدون، وتقيم ديدمونة مع عطيل في «إيثاكا»، ويرقص البوم طرباً في الليل ويزقزق في كهوف أحزاني.

كأن مصيبة الحرب لا تكفيني: ما زلتُ أحبك!

فن التأجّج الافتراضي

يسألون: لماذا لا أنساك؟
لأنني يوم التقينا منذ ألف عام وعام
تحوّلتُ من امرأة إلى طائرة ورقية ملونة
تنتشي بالتحليق،
ومن يعسوبة في شرنقة إلى فراشة تطير،
ومن جبانة إلى مركب لا يهاب المحيطات..
ومن امرأة تخشى قطع الشارع وضوء المرور أحمر،
إلى مركبة فضائية تغزو المجرات الأخرى.
حبك الشجاعة، والحرية والانعتاق... حتى من حبك!

فن الهزيمة الافتراضية

سأعيش معك حتى التوهج،
لا حتى الاحتراق.
فن الحب هو أن يعي المرء متى ينسحب،
ويكتب على شاشة الأفق عبارة: وداعاً.

جناحان افتراضيان

جناحاي يؤلمانني قليلاً،
هل تعرف معنى أوجاع رضوض الأجنحة؟
الليلة يؤلمني جناحاي
مرة، قصتهما العجائز الشاميات،
فنبتا من جديد صلبَيْن كأجنحة البوم والساحرات.
هل هربت ذات يوم إلى كهف لتئن سراً
وأنت تشعر بأوجاع رضوض جناحَيْك؟
هل حاولت مثلي مرة،
التحليق حتى اللانهايات
فاصطدمت بكريستال قبة السماء؟
ثمة أسئلة ستظل بلا أجوبة، وما من عزاء!

مهاجر افتراضي

في الغربة أنتَ عارٍ كدودة،

في شوارع مدن شمالية مثلجة ليست لك،

لا شيء يقيك صقيع النظرات شذراً إليك،

لا «شيك» يقيك شكّهم بك،

لا بزتك العصرية الثمينة الغربية، ولا ساعتك الماسية، ولا السجادة المخملية الأرجوانية التي اشتريتها لتخطو فوقها من المرسيدس وأنت تسدد فواتير تملقهم لك.

في الغربة أنت عارٍ كدودة.

لا أحد هنا يحبك حقاً، فعُدْ إلى قبيلتك ومضاربها، أيها المأكول المذموم، ولا تحلم بأن تصير منهم مهما فعلت،

فارحل عنهم!

الجنون الافتراضي

امرأتان تُحدِّق كل منهما في الأخرى باستنكار.
إحداهما مراهقة صغيرة هي أنا البارحة،
والأخرى ناضجة هي أنا اليوم...
تتبادلان التهم، والسخرية، والعتاب والإدانة.
وعبثاً تتفهم كل منهما جنون صاحبتها،
وكل منهما تتوهم أنها العاقلة والأخرى المجنونة.

المحامي الافتراضي

أفتش عن المحامي الذي يترافع عني
أمام محكمة الكون
ويقول للمحلفين إنني أستحق عمراً آخر لأعيشه حقاً كما كنت أشتهي . .
لأعيش عمراً آخر كدوريان غراي وفاوست .
أفتش عن المحامي الذي يترافع عني قائلاً إن عمري باطل (من حيث الشكل على الأقل)، فقد ولدتُ على أعتاب حرب ضياع فلسطين وتعمدت مراهقتي بانقلابات، وشبابي بحروب وهزائم .
ولم أعش حياتي، وبالتالي لا أستحق موتي!
أريد قرناً آخر أعيشه من أجل الحب والفرح
في كوكب بلا حروب ولا مجاعات ولا مذابح
ولا ثقب أوزون ولا تلوث ولا أوبئة . . .
فأين ذلك المحامي؟
ومن يضمن لي أنه سيظل حياً ريثما يترافع عني قبل أن يقتله

التلوث والأوبئة والقمع والحروب
ومجاعات زماننا للحب؟

النضج الافتراضي

حين كُنتُ طفلة،
قسمتُ رغيفي إلى اثنين وأعطيته نصفه،
قسمتُ البحر إلى نصفين وأعطيته نصفه بما فيه
من مراكب وقواقع ولآلئ ومرجان،
قسمتُ السماء إلى شطرين وأعطيته نصف النجوم.
حين كبرنا (اللعنة لماذا كبرنا؟)،
سرق القمر بأكمله وأخفاه في جيبه
ولم يعطني حصتي..
آه لماذا كبرنا؟

الشمس ساعة افتراضية

أتعامل مع الشمس كما لو كانت ساعة يد،
وأتعامل مع الجنون كما لو كان دستور العشاق.
وحين أنتظرك في المقهى وتتأخر في الحضور،
أمد يدي إلى السماء بسطوة الحب،
وأعيد الشمس قليلاً إلى الوراء كعقرب ساعة،
وأبدّل نواميس الكون كأية عاشقة حمقاء لن تنضج،
تخشى أن ينكسر قلبها لأنك تأخرت عن الحضور!

أجنحة افتراضية

كنت أظنني بومة عادية
كطيور البوم كلها، بجناحين.
ثم اكتشفتُ أنني بومة بعشرات الأجنحة...
فليلة قصّت عجائز قبيلتي جناحَيَّ الأولَيْن خوفاً عليَّ من
جموحي
نبتا من جديد ليلة عرس المطر مع ضوء القمر،
وليلة قصّ تلك الأجنحة ذكور قبيلتي باهتياج،
تناسلت أجنحتي بضراوة وصارت ملونة تضيء في الظلام.
أشبه البوم كثيراً بعشقي للحرية، وكرهي لأقفاص
الببغاوات...
لكنني بومة بعشرات الأجنحة،
وآلاف الفضولات والحيوات والميتات
ككل النساء العربيات المنسيات السرّيات!

بطاقة بريدية افتراضية من غرناطة

الزمن لا يعني لي شيئاً، ولا ليلة رأس السنة.
فقد ولدتُ قبل قرون،
في قصر الحمراء/ الأُحجية في غرناطة.
بل ولدتُ قبل ذلك في الصحراء العربية مرات،
ومت وعشت وغادرت رمادي غير مرة، كمعظم النساء العربيات وكالجدة شهرزاد.
عمري سلسلة من التقمصات الغامضة، ككل الإشارات الحجرية السحرية في طراوة «جنة العريف» المطرزة بالخضرة وأزهار الفصول الأربعة،
لي عدة أعمار، وحب واحد كبير،
وفي زمن ما من أزمانك،
بحت لي بحبك قرب «بركة الأسود»(*)
وأرهفت الأسود سمعها.
ومن يومها وهي تعود إلى الحياة ليلاً،
وتزأر بلوعة بحثاً عنا.

(*) بركة تزنرها الأسود الحجرية في «قصر الحمراء» بفنه الإسلامي بغرناطة.

إذا استطعت الدخول إلى «قصر الحمراء» الغرناطي عند منتصف ليلة رأس السنة،

ستسمعها تنادينا، وسترى شبحَيْن يلبيان ويتعانقان. ويتهامسان كعصافير الحب حتى الغسق.

هما صورة عنا يوم التقينا في عزّ الشباب والجنون..

وكان يا ما كان وما لم يكن!

السرعة الافتراضية للزمن

قالت لحبها الكبير،

وهو يضمها إلى قلبه الصغير على شاطئ البحر البيروتي:

يا إلهي كيف يهرول الزمن بسرعة حين نكون معاً!

قال الزمن بحزن وهو يتأملهما ويسمع ما تقوله العاشقة:

يا إلهي كم يركض العشاق بسرعة، وأنا واقف في مكاني أتأملهم!

كلهم يهرول ويتهمني بالركض... كلهم يركض نحو مصبّاته وموته،

وأنا حيث أنا من الأبد وإلى الأزل!

تابع الزمن مخاطباً الليل الكوني: البعض يتهمني بأنني سلحفاة بطيئة،

والبعض يقول إنني عصفور هارب. وأنا كما أنا، متحجر ومذهول،

لا أفعل شيئاً غير تأمل هذيانهم عني ليلة رأس السنة بالذات!

كلمة في حفل تأبين افتراضي

أي شيطان جرّني إلى حفل تأبين
لأسمع أكاذيب ترتدي أقنعة الرثاء؟
أكره الأقنعة حتى على وجوه الجثث والخطباء والسياسيين المتأدبين!
«الفقيد» تحوّل إلى ملاك بجناحين شفّافين،
الأرملة شاهد زور يكاد يطير سراً من فرحته بالخلاص من جلاّده،
العشيقات موزّعات في الأركان، مكسورات. . .
أمام وفاء لم يعد يجدي، وحب موهوم لم يعد مجزياً.
وحدها الزوجة استعادت أضواء المصورين و«فلاش» العيون
ودفء الناس وكل ما كانت قد خسرته خلال حياة «المرحوم».
أي شيطان جرّني إلى حفل التكاذب هذا؟
وحده الدود لن يكذب.
سيرقص طويلاً الليلة في ترابه حول الجثمان
محتفلاً بعودة دودة كبيرة من أبناء العشيرة
طوّبها الآدميون يوم التأبين نسراً!

برن تنقذ حياتها من شهرتها الافتراضية

ما أجمل المنافي، حين يكون جحيمها فردوساً
مثلك يا مدينة برن، العاصمة، ولكن السرية.
نهر من عسل ولبن يحيط بخصرك المجدول بالقرميد العتيق.
تطلّين من علٍ وتلعقين عن شفتيك خضرة الجبال البكر.
تهمسين بلا تشاوف: أنا أكثر عواصم العالم تواضعاً،
حتى إن البعض لم يسمع باسمي.
أترك لجنيف لعبة الشهرة والأضواء،
وأقتات بالحب والهدوء سراً،
كعاشقة هاربة من لعبة الضوضاء،
تعرف فن معايشة الظلال بين أصابع البيانو،
ذات ليلة زرقاء العينين لرأس السنة أحياها شوبان ولم يزعق
فيها مزمار جنائزي احتفالاً بها!

امرأة افتراضية متوحدة

إنها العاصفة،
ولستُ بحاجة إلى مظلة ولا قبعة ولا قفّازات.
لستُ بحاجة إلى شال ومعطف وعكاز،
فقد ولدت في الإعصار،
وكبرت في العواصف،
وسأموت كأبجدية عارية في الشتاء.
لم ينتصب شعرها برداً ولا خوفاً...
بل انتصب في أبجديتها حرفا: لا.

الحبُ بعد الفراق الافتراضي

ما الذي لم أفعله للاحتفاظ بك،
حتى بعد فراقنا؟ وبالذات بعد فراقنا؟
لقد تقمصتُ شهرزاد،
لتتذكرني مع كل فجر في حكاياها.
قطعتُ رأس سيّافك،
وقطعتُ أيضاً رؤوس النساء اللواتي يحمن حولك.
طاردتك في دهاليز الفراق،
بالفن والأغاني والأبجديات والأساطير
والأشواق المترجمة إلى عدة لغات.
وكي لا تضجر، اخترع لك أبهى الحكايا فجراً بعد آخر،
أسبوعاً بعد آخر،
قرناً بعد آخر.
وحتى بعد موتي وموتك،
سأظل أطاردك في دهاليز الزمن والأبجدية،
وإذا استدرت صوبي سأختفي..
وكما لم يحق لـ«أورفيوس» أن يستدير صوب الحبيبة

في نهر العودة من الجحيم،

أعرف أنه لا يحق لي أن ألامسك وإلاّ فقدتك..

في حبنا براءة وجنون، مثل طفلين يلعبان «الغمّيضة».

وثمة واحد منهما لا مفر له من الاختباء في الوقت الذي يبحث عنه الآخر.

وأحياناً نختبئ في آن، بينما يبحث كل منا عن الآخر وهو مختبئ منه!

أهذا هو الحب؟

أهو نهر الفن بلا عودة كالأنهار وبلا تكرار ولا لقاء ولا نسيان؟

يا غريبي! الحب لا يشتعل حقاً إلا بعد الفراق.

الصدق الافتراضي

فقط حين نقول جملاً بلا معنى،
ونخط سطوراً ملتبسة، ونهذي،
نقول صدق القلب!
فصِدْقُهُ غامض ومظلم كأزقة الفراق،
وصوته جملة كالماس الخام، مليئة بالشقوق.
الحب هو الجانب المظلم للقلب/ القمر.

إنها الحرب؛ إنه الحزن اللاإفتراضي

«كينغ كونغ» يدوس الأطفال وهو يرفع شعارات تحريرهم،
الحمام ينوح في ساحة «الترافلغار»،
وفي ساحة «سان ماركو» في مدينة «فينيسيا»
التي تغطس إلى قاع المياه الباردة.
وفي ساحة «كونكورد» باريس،
الغربان تنعق هلعاً في ساحات قرى العالم،
بصمتٍ يخفي البوم عينيه الشاسعتين بجناحيه
لأن شيئاً لمّا يتبدّل منذ زمن قابيل وهابيل،
ولأنهم اتهموه يومها بأنه المسؤول عن الجريمة كما سيفعلون اليوم!
إنها الحرب، إنه الحزن، ونواح النساء يُزنّر الكرة الأرضية.
الأطفال صاروا يولدون في زمننا بلا حنجرة،
مات حتى صوت بكائهم.
الحرب تقتل كل شيء، حتى توأمها: السيد بكاء!

جدار افتراضي

على جدار غربتي علّقت صور أحبابي،
ماتوا جميعاً واحداً تلو الآخر.
قتلهم الحزن أو الخيبة أو «الرفاق» أو «الطغاة»،
وأكلتهم الحروب بصورها كافة.
ماتوا جميعاً، وكنتُ أرمي صورة كل من يموت من النافذة
كي أنسى وأعلن الفرح الجديد.
بقيت لي المسامير، وبقي الجدار...
فعلّقت عليها ذاكرتي،
وكانت ذاكرتي تحمل الصور ذاتها التي رميت بها،
وعاد جدار أحزاني كما كان!

العمر حرب افتراضية

ولدتُ في الزمان الخطأ في الكوكب الخطأ.

ما ذنبي إذا كان رب الحرب الإغريقي «مارس» اختار الذهاب ى الصيد ليلة ولادتي في كوكب الأرض في شهر «مارس» ولن عود من رحلته إلا ليلة موتي؟

ما ذنبي إذا كان برجي «برج الحرب» لا برج الحب؟

كوكب آخر افتراضي

حين تصير جرار الماء آنية لحفظ رماد الموتى الذين أحرقتهم
الحروب،

حين يصبر خشب سرير العرس تابوتاً،

تعرف أن عليك أن تحزم جسدك حقيبة سفر وترحل إلى
كوكب آخر، في عصر آخر وأنت تُبوْم بأسى!

عاشق فرنسي لاافتراضي

بين حرب وأخرى وقطار وآخر،
أهرب إلى ذكراك العذبة.
أستحضرك بحنين: حياً كالينابيع،
باهراً كقمر ليلة جنون عذب،
أزلياً كأيقونة مزار أسطوري.
أتذكرك وأتساءل: تُراك ما زلت حياً،
بعد تلك القطارات كلها التي ركضت فوق سككها منذ فراقنا،
والحروب كلها التي شبّت منذ لقائنا؟

الضريح الافتراضي للَّيلة الماضية

وأنت تهرول خلفي بباقة أزهار،
حبنا يا غريب فقاعات كوب جعة،
احتسيناه في مقهى المحطة، وانتهى الأمر.
فضع الباقة على ضريح الليلة الماضية!

غُربة افتراضية

أنت قصيدة شعر موزونة مقفّاة،
واثقة من قناعاتها الجامدة المؤبدة كتماثيل المتاحف.
وأنا نص نثري، يركض بكل حيرته على غير هدى،
مثل قطرة زئبق بلا إناء...
ولذا افترقنا.

حياة افتراضية

حسناً. العالم حزين كجثة غريق في محيطات الجليد.
حسناً. ثمة طفل مجهض مرمي في كيس من النايلون
وجده في برميل النفايات متشرد جائع مصاب بمرض الأيدز
وثمة امرأة على الشرفة المعتمة تراهما وتنتحب ثمل
بوحشتها،
وثمة رجل على الشرفة المقابلة يبكي ابنه الشاب
الذي جرّوه إلى الحرب.
نعم. العالم كئيب ومرعب وموحش،
لكنني أجهضت حزني بعدما حملت به عقوداً.
وأريد أن أحيا، حتى في حروب
لم يستشرني أحد في دعوتها إلى بيتي!

الوردة الافتراضية

اكتب لي،
فالورود كلها التي أهديتها لي ذبلت وماتت في آنيتها الكريستالية،
ووحدها الوردة في قصيدتك لي ظلت نضرة.
من ورود العالم كله والأزمنة كلها،
لا يبقى إلا العطر في القصائد.

نسر افتراضي

حلّقت البومة اللطيفة الفضولية تتفقد الليل،
حين تعبت لم تجد شجرة واحدة غير مشتعلة في الحرب
لكي تحط فوقها للحظة وتستريح...
رددت البومة قول فنّان عشقها ولطالما رسمها اسمه ماغريت
القطط سعيدة بالحياة تحت المقاعد!
وقررت أنها تعشق الطيران، وعليها كي تستمر أن تحيا كنس

«المناضل الافتراضي» ينحس بومة!

الت البومة لصديقها «المناضل الافتراضي»:

عالك ضلّت طريقها إلى نواياك

ـارت الأشجار كسيحة في زمنك ولم تعد تمشي وتتنزه في

ي لبنان المقمرة،

دع الشرور تجري في أعنتها

واقعد، كي لا تزيدها ظلاماً على ظلام..

فقد صيّرتنا على أهبة العصر الحجري الفضائي!

واسترح «كي لا تطير البقية»!

قال «المناضل الافتراضي» للبومة:

لقد خسرت صفاتك «النضالية»!

ردّت البومة على صديقها «المناضل الافتراضي»:

لعلّك نحستني!

... ونجح طلاقي الافتراضي

الحقيقة حبيبة مناكدة لا تعرف المجاملة.
وقفتُ أمام «مرآة الحقيقة» وفتحتُ عيني،
ويا لهول ما رأيت إذ لم أرَ أحداً في المرآة!
جدي كان «ظاهرة صوتية»،
وأنا لم أعد حتى ظاهرة صوتية.
لا صدى لصوتي، لا صوت لصوتي،
لا صورة لي في المرآة إياها،
لا وزن لي حين أصعد فوق الميزان.
وحين أموت، لا شبح لي فأنا زنجية بيضاء،
أكلتها حماقات قبيلتها وهزائمهم، فاشلة في كل شيء مثلهم.
وحده طلاقي ناجح، من كل ما سبق وصدقته واقتنعت به...
وها أنا أتسلى بتمشيط شعر الذباب كالآخرين!

المتحف الافتراضي

وضعتَني في إناء داخل سائل تحنيط.
أحكمت إغلاقه علي..
احتفظت به على رفّ في «متحف الحب الافتراضي».
لكنك لم ترتح من الغيرة الوسواسة الخناسة
التي توسوس في صدرك
لتتهمني بمغازلة زوار المتحف عبر سجني الزجاجي!!
مع الغيرة، لا شفاء إلا بالقتل.. واسأل عطيل.
مع الغيرة، لا شفاء إلا بالجنون.. واسأل هاملت.
مع الغيرة، لا شفاء إلا بالأذى.. واسأل الملك لير وبناته.
مع الغيرة، تعود من سفينتك الفضائية إلى العصر الحجري
لتطاردني بالهراوة في الغابة
بين الديناصورات والبراكين والطوفان وسفينة نوح...
مع الغيرة، لا شفاء إلا بالفراق.

المخدّر الافتراضي

جربت المُسَكِّنات كلها
ضد الألم، والحزن لموت الأحباب
وموت الأشياء الجميلة،
وما زلتُ لا أجد ما يشبه مُسَكّنات شفتيك،
ولذا، أظلّ أعود إليك!

العقاب الافتراضي

حين حدّقت السيدة في وجهي ولم ترني،
ثم حدقت عبري لتتأمل «اللامرئي»،
وعيتُ حضوره في غرفة المستشفى،
وهمستُ بألفة: أهلاً بك يا سيدي الموت.
قال لي: إنه دورها لا دورك...
ثم إنك هزئت دوماً بي
وسأعاقبك عقاباً مريراً،
ستعيشين طويلاً!
ومضى ومضت السيدة معه..

الشبح الافتراضي

كل ليلة، أتسلق سراً عربة الموتى
وأختبئ من سائقها،
لأبحث عن أحبابي الموتى وأتفقّدهم وألاطفهم...
كل ليلة أتسلل إلى المقبرة
وأحاور أشباحهم بحنين من دون أن ألاحظ
أنني بدأت أتحول بدوري إلى شبح أيضاً،
يقود عربة موتاه!

البنك الافتراضي

أفتش عن ذلك البنك،
الذي يقرضني عمراً جديداً
لأعيشه معك، ثم أعلن بعد ذلك إفلاسي!

المكيّف الافتراضي

البارحة، حشوتُ وسادتي بمكعبات الثلج
لأنام بلا كوابيس محمومة عن فراقنا البارد
وبلا جنون الأحلام اللامتحققة.
وعند الصباح، استيقظتُ على صوت غليان الماء
داخل وسادتي!

الفصيح الافتراضي

اللغة أداة سوء تفاهم،
وحده الصمت لغة العشّاق.

السرّ الافتراضي للعصافير

هل العصافير
رسائل الغيوم المتوحدة إلى الناس؟
أم أن العصافير،
صرخة الغيمة قبل أن تذوب عشقاً فتصير مطراً ؟

استقرار افتراضي

معك أقمتُ في بيت من خيوط العنكبوت. . .
لكنني عرفتُ معنى الاستقرار.

رسالة إلى أديبة افتراضية

لا تدعي المطبخ «يطهوك»!
لا تذوبي مع ملح الطعام!
لا تدعي أبجديتك تذهب هدراً في "بالوعة" غسيل الأطباق،
ولا تغرقي في حوضه وتطلقي قصائدك فقاعات استغاثة من قاعه.

لن يموت أحد جوعاً بدونك،
لكنك ستموتين جوعاً
إلى السباحة داخل محبرتك.

لحظة حرية افتراضية

مطر ناعم يهطل فوقي
على ضفة نهر السين في الشارع الباريسي،
انتعشتُ، ارتعشتُ، تفتحت أزهاري،
مدّت أوراقي الخضر أجسادها الدقيقة،
والمطر الناعم يهطل فوقي،
لم أكن أدري
أني لست أكثر من نبتة خضراء من نباتات جدتي تركض في
شوارع العالم برائحة الشام والياسمين.

امرأة افتراضية داخل أوهام حقيقية

أعيش مع هاملت وآنا كارنينا والملك لير ومدام بوفاري،
وروبنسن كروزو وجوناثان ليفنغستون النورس و«الأم
الصغير» وغراب إدغار آلن بو،
والحوت موبي ديك وحمار الحكيم وبومة يوليوس قيصر،
وشجرة أليس التي تقود إلى بلاد العجائب.
أعيش معهم أكثر مما أعيش مع أحبائي وأعدائي.
ألهذا أنا امرأة افتراضية وكاتبة حقيقية؟

الخيانة الافتراضية

أنا زهرة عبّاد الشمس الصفراء الخائنة
التي أدارت وجهها صوب القمر بدلاً من الشمس،
ولذا رسمني ڤان غوغ وأحبني!

التعازي الافتراضية

زرتُ الموت، لأقدّم إليه التعازي
برحيل موظف آخر من أنشط العاملين في مؤسسته:
ديكتاتور آخر يتنحّى...
نشيّعه بدموع التماسيح ونتبارى في التباكي عليه!

المستحيل الافتراضي

حين تختار أن ترحل معي
على متن طائرتي الورقية الملونة،
بدلاً من طائرتك الخاصة النفاثة
تصير حبيبي.

الوصفة الطبية الافتراضية

قلت لزمني: لماذا ابتليتَ بتلك العاهات كلها أيها المسكين؟
قال لي: العلّة في أطبائي،
كلهم مثلك يعرفون المرض، ويجهلون العلاج،
ويكتبون وصفاتهم الطبية شعراً!

الضاحية الافتراضية

كذبتَ عليَّ وزعمتَ أنني عاصمة قلبك.
واكتشفتُ أنني كنت ضاحية مهملة من ضواحيه!

نصائح افتراضية لأوفيد

قبل اللقاء، كن أرنباً وتعال قفزاً.
في الحب، كن سلحفاة تزحف ببطء.

غيرة من فرنسي افتراضي

أيها الحبيب الفرنسي الافتراضي،

أنتَ حملتْ بك أمك في مهرجانات النصر الوطنية وكبرت على صوت أغاني البهجة في «الحي اللاتيني» الباريسي،

وأناحملت بي أمي ذات هزيمة وولدتني ذات مذبحة

وكبرتُ في أزقة يزنرّها النواح ودخان الحرائق.

أنتَ ذهبتَ إلى المدرسة منشداً: «أيها الأخ جاك استيقظ واقرع أجراس الفرح»،

وأنا شاهدتُ في دربي إلى المدرسة جثث القتلى.

أنتَ رضعتَ «الدوم بيرينيون» في مقاطعة الشمبانيا،

وأنا رضعت الشاي الأسود بالدمع.

أنتَ لم تسمع انفجاراً غير الألعاب النارية في أعيادك بين «برج إيڤل» الباريسي والتماثيل المذهّبة في ساحة «التروكاديرو»،

وأنا سمعت صوت انفجار القذيفة التي أحرقت مكتبتي وكنتُ جرذاً يرتعد في الملجأ.

أنت تحيا، ثم تموت مرة واحدة وتُدفن بسلام،

وأنا أموت بين وقت وآخر، ولا أموت طويلاً بل أغادر

رمادي لأتعذّب من جديد وأتمرّد.

أنت تخطط لإجازاتك ومباهجك الصيفية،

وأنا أحتفي بالماضي وأنوح على أسوار الأندلس.

أنت تحدّثني عما ستشيده في قريتك الأم في وادي «اللوار»، وأنا أتذكر بيوتي المهدومة بيتاً بعد آخر.

أنت تسبح في «الكوت دازور»، وأنا أغرق في مضيق جبل طارق بحثاً عن جدي طارق بن زياد.

أنت تحلم حين تنام،

وأنا أرى الكوابيس في وضح الليل وضوء الظلام.

معك أحاول أن أرتق ذلك الثقب التاريخي،

الذي يزداد اتساعاً بين نسيج الشرق والغرب،

أم أن ما يفرّقنا هو الذي يجمعنا؟

ألهذا أظل أهرب إليك طالبةً تأشيرة دخول إلى صدرك..

وبطاقة إقامة في زرقة عينيك؟

هل الحب الافتراضي وحده الحقيقي؟

لا أريد حباً سعيداً في علب السهرات الموسرة،
المبطنة بالقطيفة والحرير والمخمل والثرثرة والنميمة الحاسدة..
حباً أليفاً كرائحة الطبخ والتثاؤب ومساحيق التنظيف المنزلية وقط يلعق الحليب.
أريد حباً إعصارياً متوحشاً شقياً وهمياً مستحيلاً افتراضياً،
أليماً بالفراق، غامضاً كنبوءات عرّافات شكسبير،
كي أظل مشتعلة به.. لأكتبه!
ما الذي يبقى من الحب غير القصائد العتيقة؟

الالتزام الافتراضي

بعيداً عن المهرجانات والأعراس والجنازات والمناسبات،
بعيداً عن الذين يريدون سوقي إلى سلك الكتابة الإجبارية،
سأكتب كعادتي ما يحلو لي كما يحلو لي.
كأن أكتب عن الرحيل والحب، الرحيل الشهي أينما كان
والحب الشقي كيفما كان...
وحده الحب الافتراضي
يستطيع أن يكون سعيداً بأوهامه الحقيقية.

استقلال افتراضي

كيبيك تريد الاستقلال عن كندا،

ويلز وإيرلندا الشمالية واسكوتلندا تريد الاستقلال عن إنجلترا..

كورسيكا تريد الاستقلال عن فرنسا..

أرض الباسك تريد الاستقلال عن إسبانيا..

أوكرانيا ومولداڤيا وكرواتيا وأرمينيا وأريتريا و.. و.. كلها تريد الاستقلال عن كيان إرغامي مزعوم.

وحدي أريد الاتحاد الافتراضي بك كي أجد استقلالي!

وحدي أريد الانضمام إلى مجموعتك الشمسية

لأظل أبداً قريبة وبعيدة في آن...

فالحب مدارات متوازية،

والتقاطع لقاء انفجار ودمار.. وانطفاء.

وكل لقاء وداعٌ مؤجّل، وكل التحام فراق وشيك...

تبارك الفرح الافتراضي!

في باريس لا تصدق منطق الجسر،
فالجسور لا تعبر بك من ضفة لنهر السين إلى أخرى،
بل من فردوس حرية إلى فردوس آخر.
لا تخف، اقطع الجسر
وقل لعشاق الموت: تباركت الحياة والحب والفرح والحرية...
حين شهرت عليّ سكينك في بيروت،
وعيتُ أكثر من أي وقت مضى، كم أحب الحياة وأكرهك.
وها أنا أعبر الجسر إلى الضفة الأخرى،
فوداعاً لموتي بك،
ولبؤس لقّبناه حباً وعمّدناه خلاصاً... وكان مقصلة!

الطيران الافتراضي

بدأنا معاً،
كنا عصفورين يهيمان في حقول الحلم والوهم والضحك البريء،
وأغصان شجرة الأبجدية والحب الافتراضي..
مع الزمن تبدلنا (كم نكره الإقرار بذلك!)...
تحولتَ أنت إلى طائرة نفاثة تطارد آلة حاسبة،
وصرتُ أنا بومة في غابات الليل تطارد الأسرار الأبدية والأبجدية.
فكيف تريد أن نتابع طيراننا معاً،
حتى ولو كان طيراناً افتراضياً؟

رجل النسيان الافتراضي

أحببت رجلاً / بحراً وبادلني الجنون الملقّب حباً.
أهداني صدفة عملاقة أنام فيها،
وحصانَ بحر أتجول بين الأمواج على صهوته،
وأخطبوطاً عملاقاً يمشي خلفي كحارس حاملاً مظلتي ومرآتي ومروحتي،
وسلحفاة مائية أتمدد على ظهرها لحمامي الشمسي.
أهداني اللؤلؤ زينة لشعري، والمرجان لثوبي..
لكنني أخونه مع الذاكرة،
وأتسلل ليلاً في عتمة قاع البحر
بحثاً عن رجل/نجمة،
أضعته ذات يوم بحماقاتي...
ما أندر الرجال الذين نفشل في نسيانهم،
ولكن، إذا مرَّ أحدهم بصفحة الروح دمغها إلى الأبد بوشمه..

جماليات الحب الافتراضي

أحكمتُ إغلاق الأبواب والنوافذ وأسدلتُ الستائر،
فتشتُ تحت السرير وداخل الخزائن ولم أجد أحداً.
وقتها فقط خلعت نظارتي السوداء،
خلعت رأسي وذاكرتي وأحزاني مع حذائي،
استرحتُ وغنّيتُ طويلاً تحت رذاذ الماء الساخن في الحمام:
حبك هو الضوء.
ليلتها أشرقت شمس غير افتراضية...
من سقف غرفتي!

التصويت لديكتاتوري افتراضي

مرّتين عرفت جبروت الجمال وسطوته:
مرة منذ ألف عام،
حين هطلتْ نظراتك فوقي للمرة الأولى
شلالاً من ضوء وجموح مهيمن شرس؛
ومرة هذا الصباح،
حين هطلتْ أمامي شلالات نياغارا الكندية/ الأميركية
من الأرض إلى الغيوم، من تحت إلى أعلى، حتى قبة الزرقة.
مرّتين صوّتتُ للديكتاتورية وللطغيان:
مرة لديكتاتورية حبك؛ والثانية لطغيان شلالات نياغارا.

سمكة أخطأت جسدها الافتراضي

في القارب تحت شلالات نياغارا حزنتُ لأنني لستُ سمكة!
وعيت أنني أعيش في «الجسد الخطأ»، في الزمان الخطأ.
تحت شلالات نياغارا حزنتُ
لأن أحداً لم يستشرني في «وكالة السفر» قبل وصولي إلى هذا الكوكب،
في شأن الجسد الذي أحب ارتداءه.
وها أنا سمكة أخطأت إناءها،
وانزلقت لتحلّ في جسد امرأة!

غول الطفولة الافتراضية

تصالحتُ مع الشياطين والعفاريت،
ومع «الغولة» التي كانت تنام تحت سريري في طفولتي
والجنّي المقيم في خزانتي...
صادقت الجان المقيم في ستائر غرف الفنادق النائية،
وحتى الأرواح التي تنتصب في قلب غرفة نومي وتوقظني.
صادقت رعبها،
والذين أرعبوني كلهم استوعبتهم وتجاوزتهم.
هل عرفت الآن سر قوتي؟
لم أنتظر يوماً أن يحبّني أحد أو يحميني، بل فضّلت مصادقة شياطيني.
فأنا أتقن مهنة التحليق فوق المياه المظلمة العكرة...

جنون افتراضي

يا لفوضى طاولتي في كل فندق أحلّ فيه،
مثل مهرجان عصري هائج «للتكنو» و«الراب» و«الراف بارتي».
تتناثر الأوراق والقصاصات المنسية
وكتاباتي على أعقاب السجائر والأعمار والليالي،
شوارع مزدحمة بالبشر سقطت سهواً من صفحة في رواية أكتبها،
بكل جثثها الهادئة المحدّقة بوجهي، وأحيانها.
ربما لذلك تبدو لي محاولة ترتيب طاولتي في أي مكان أحل فيه . . .
محاولة عبثية، كمحاولة إدخال الزوبعة في علب وأكواب معقودة بالأشرطة الملونة.
يسيل جنوني من روحي على طاولاتي وأقلامي،
عبثاً أطوق عنق أبجديتي بلجام.
وروحي فرس برّية كروح العاصفة،
والكتابة جنوني الذي يحميني من الجنون!

مطر يبلل الشلالات اللاافتراضية

تمطر فوق شلالات نياغارا، وفوق شلالات روحي. . .

لم أعد أحلم بوطن جديد أو مهجر جديد أو منأى أو منفى أو أية تسمية أخرى ملطفة، فالحزن يتربص بي أينما حللت.

تحت جنون شلالات نياغارا،

لم أحلم بجنون جديد.

فكل جنون هو الحب القديم ذاته.

«لا سفن هناك تجليك عن نفسك».

تمطر فوق شلالات نياغارا بمهابة، والمطر يبلل الشلالات!!

حقاً، من له يُعطى ويُزاد!

غواية الموت الافتراضي

أحدّق في شلالات الزخم والجبروت والجمال،
أشعر بهشاشتي في قارب كالريشة،
يدور تحت وهج الماء ورذاذه،
دوران فراشة قرب المصبّات.
تقول لك الشلالات الأزلية متحدية:
تتوهم أنك حي،
ولا تدري أنك ولدت بقبر في صدرك سيبتلعك، وقلبك قنبلة موقوتة.
والحبيب لغم أرضي، فلا تدسه بشفتيك أو بقدميك.
وكل خطوة تقود إلى موت ما، فأين المفر؟
لِمَ لا تمتزج بالضوء وبالموت الشهي تحت صخوري المائية الشفّافة؟
حذار من غواية الموت بين سطور شلالات نياغارا!

مسرح الجريمة الافتراضية

كانت خطتك أن ترسمني فوق باحة حياتك،
كما يرسمون بالطباشير أجساد القتلى قبل رفع جثثهم إلى البرادات والمقابر وغُرف التشريح.
وكنتُ قد صمّمتُ على دمغ حروف اسمي
وشماً فوق قلبك لا يمحوه الزمن،
لكي لا تنسى يوماً امرأة أحبّتك..
لكنك فشلت في امتلاكها.
الحب حرية، كحرية شلالات نياغارا..
ولكن ما زالت ذكرى همساتك في أذني،
أعلى صوتاً من صهيل ملايين أطنان المياه الشلالية بأحصنتها الجامحة..

كالفطر الأسمنتي الحديدي الحجري تنبت المباني لتحجب
حه ذلك البهاء الشلالي الضوئي كله.
ستأكل «حضارة الهامبرغر» نفسها، وتهضم معدتها المعدنية
اتها.
لن يبقى حياً إلا شلاّل حاول عصرنا اغتيال بهائه وشاعريته،
بالشراسة الأسمنتية الحديدية،
وبَتْره بسيف الدولار!

ذلك العصفور الافتراضي الهارب

حدّق الطفل في ساعة أمه، ثم كسرها وهو يلعب...

حدّق الفتى في ساعته متأففاً وقال: يا للوقت السلحفاتي، إنه يكاد لا يتحرك، نائماً داخل صدفته الأبدية...

حدّق الشاب في ساعته وهو ينتظر الحبيبة
وهمس: يا للزمن البطيء الذي لا يمر...

حدّق الكهل الوسيم في ساعته ليلة رأس السنة وانتحب:
كنت أظن العمر سلحفاة بطيئة،
لكنني تيقنت الآن من أنه عصفور هارب
يطير مبتعداً بسرعة ومضة برق...

حدّق العجوز في ساعته منتصف ليلة رأس السنة وتثاءب لا مبالياً بالسلاحف والعصافير قائلاً:
يا إلهي كم تأخرت عن موعد نومي، ونسيت تناول أدويتي
اللعنة على ضجيج «زمامير» الشبان وزعيقهم ولهوهم...
ثم أغفى على الطاولة!

استعراض عسكري افتراضي

بمناسبة السنة الجديدة،
سأقدم استعراضاً عسكرياً لذكرياتي
بالملابس الرسمية والنياشين والزينات،
وأسلحة الحرب والإعلام والأبواق.
لن أستعرض انتصاراتي، بل هزائمي
ومدافعي التي غسلتها مياه الأمطار والتشرد بين القارات
وبلّلت قذائفها الدموع.
تأمل. في مقدمة الموكب سأغرس رأسك المقطوع •
رمحي،
وأصرخ في جموع المتفرجين: هذا هو الرجل الذي هـ,.
فصفّقوا له وابكوا من أجلي!
فمع حبه، لا نسيان ولا فرار ولا دموع غير الحبر،
ولا نياشين غير وسام الهزيمة الممتازة...
ودرع الفراق!

«أحبك» كلمة افتراضية

ولم تكن جملة معترضة في حياتي،
ولا فاصلة بين جملتين.
كُنتَ حياتي كلها،
نقطة في آخر السطر،
وكلمة واحدة من أول السطر:
أحبك.

بطاقة معايدة افتراضية من فينيسيا

كيف اقترفَتْ قبيلتي جرم تسمية تلك العذوبة المائية بمدينة «البندقية»، وهي لا تطلق غير رصاص الحب والحنين؟

يقتادني الليل من شعري إلى الغندول

أمير «فينيسيا» جاكومو كازانوفا يعانق عري الغيتار ويعزف منشداً: «ما من حب سعيد»، فاستمتعوا الآن «بالآن»

تشهد عليه المباني الراقصة باحجار تحوّلت إلى ظلال،

بين ضفتين من سحر وشهقات وانتحابِ منتشٍ غامضٍ

ونوافذ مطرزة بالدانتيل الحجري،

وشرفات بأعمدة شفافة مرمرية . . .

هل يقيم خلف تلك النوافذ والشرفات أشخاص يأكلون وينامون ويبكون مثلنا؟

أم أنها مدينة مسحورة، لا يقطنها إلاّ أبطال الروايات الذين ماتوا حباً وسراً مثلنا؟

أجمل ما في فينيسيا أنها تشبه العشاق

تغرق شيئاً فشيئاً في الماء

لكن رأسها الرخامي يزداد ضياء وسحراً في مواجهة الزمن.

آه، يا غريبي، هل نسيتُ أن أقول لك البارحة أنني أحبك؟

وأنني كفينيسيا أغرق في مياه حبك شيئاً فشيئاً،
بهدوء، بصمت، بلا ضوضاء،
عاماً بعد آخر، قرناً بعد آخر، موتاً بعد آخر،
حتى أبدي وأبدك وأبد فينيسيا!

خيانة افتراضية

لن تغفر لك الأسماك
انحيازك إلى البركة الآسنة،
نكاية بالبحر.

الحبيبة الافتراضية

كل ليلة،
يكتب لها القصائد، عن حبه الخالد،
وعن الحياة معها إلى الأبد. . .
لكنه ظل مع زوجته!

فراشة افتراضية

حين تذوق الفراشة طعم التحليق بحرّية،
حين تعرف نشوة تحريك أجنحتها في الفضاء،
لا يعود بوسع أحد إعادتها إلى شرنقتها،
ولا إقناعها بأن حالها كدودة أفضل.

منفى افتراضي

ما أجمل الثلج وهو يحتضن ضفتَيْ نهر السين،
وأنا أشرب قهوتي العربية الساخنة مع «لاشروق» الشمس الشتوية.
ما أجمل برج إيفل وهو يرتدي ثوب الضباب
كشبح صبية عمرها أكثر من مائة عام،
زارها أكثر من مائتي مليون معجب وظلّت صبية.
وأجمل من ذلك كله في أجمل منفى في العالم: باريس،
أن الدجاجة تستطيع هنا أن تصيح مُعلنةً طلوع الفجر،
فحقّها فيه كحق الديك،
أما أنا، فجئتُ من عالم،
يجد صوت المرأة عورةً
حتى وهي تصيح لتبيض!

تأملات افتراضية

قال الزمن ساخراً: حين كان ذلك العجوز شاباً،
صرخ بملء حنجرته سأبدّل العالم!
بعدها بأعوام صرخ سأبدّل حبيبتي ووطني!
اليوم يهمس: سأبدّل وسادتي!
وغداً سيهمس: سأبدّل قبري!
وبعدها لن يقول شيئاً!
فما أغرب أطوار الناس،
يتبدّلون ويتهمونني، زاعمين أنني المسؤول!

العيد الافتراضي

أكذوبة أخرى من أكاذيب ضوء القمر اسمها العيد!

وأنا عزلاء ممددة على الشاطئ. ورمل الزمن يركض في أنابيبه اللامرئية.

فوق جسدي تدور الحروب منذ قرون.

تتبدّل أسماؤهم ولا تتبدل أفعالهم، بمركبات خشبية برونزية تجرها أحصنة،

وبطائرات تُحلّق فوقي في الألفية الثالثة مُحمّلة بأوبئة النار.

مجانين من كل مكان يقتتلون في ساحة دورتي الدموية.

يستبيحون شراييني بلافتات وشعارات وخطب وميكروفونات إلكترونية.

شاشات متلفزة تبث سمومهم من خلف ابتسامات قناعية كرنفالية..

أتنفس غازات فتّاكة، ودخان مصانع وسموماً نووية.

البحر لوحة مدقوقة فوق جدار نفق توهمته شاطئاً... حولي، تناثرت جثث الذين أحببتهم والذين كرهتهم بهياكل عظمية متعانقة.

علب صدئة تنكية وأكياس نايلون قمامية ونفايات ذرّية عا،
قارعة زمن اللاحب.

عيد آخر من أعياد الألفية الثالثة، يهلّ علينا كعرب بطبول،
حروب بدلاً من صفاء طبل المسحّر الرمضاني،
بثقوب في بالونات عيد الأطفال كثقب الأوزون.
غابات قِيَم تنتحب على حد سكاكين المناشير الكهربائية.
الطفلة التي كانت تستقلّ أراجيح العيد،
قتلتها رصاصة طائشة من مجنون حرب
يوزّع مناشير السلام متوهماً أن العالم يُصدّقه!!

لبنان وطن غير افتراضي

أنت لم تجرب بعد وحشة الفجر،
بعد ليلة من الطيران فوق محيطات نائية،
وأضواء غريبة مرشوشة في القاع
تشي بمدن ليست لك. . .
أنت لم تجرب بعد وحشة المطارات،
حين تهبط بين منتصف الليل والفجر،
في مدينة لا تعرف لغة أهلها ولا توقيت ساعتها وزمنها،
فيستقبلك مصّاصو دمائها باحثين في شرايينك عن متفجرة،
وأنت مزروع بألغام الحزن والغضب منهم ومن نفسك. . .
أنت لم تجرب ذلك السقوط من طائرة الغربة في الخواء
الكوني.
فقط حين تتذكر مرقد عنزتك الذي طالما سخرت منه،
في لبنان الذي طالما حلمت بالهجرة منه،
فقط حين تسترجعه تتنفس جرعة من الأوكسجين، وتم
طوق نجاة.
على أنغام بيتهوفن تنشد مع الشاعر شيللر «نشيد الأمل»،

محتفياً بحضور لبنان في كوكبنا البائس.

استسلم، فأنت تحلم حلماً كونياً عذباً:

ترى لبنانيين من أديان مختلفة وملل متباينة وآراء مختلفة وأفكار متقاطعة كمدارات النجوم أو متوازية...

تراهم يرقصون معاً ويضمّون اختلاف بعضهم بعضاً بحنان ويغتنون به.

لا أريد غير «حق الحلم»...

فدعوني أحلم بالوئام المستعاد،

لا بانتظار الفرصة للانقضاض على الآخر وإلغائه!

شاعر يخاف الفئران الافتراضية

لا أحب مصارعي الثيران،

ولا أبطال الكمال الجسماني إذا مشوا في الأرض مرحاً.

لا أحب المعارك المفتعلة لتطويب ديك آخر،

ولا المواقف التهويشية الاستعراضية، المتباهية بكثافة شعرها وقلة عقلها.

لا أحب الذين تزعق أبواق سياراتهم وتحف بهم كتيبة من الحراس مفتولي العضلات (البودي غاردز) أو بزوجاتهم وأولادهم في الطريق إلى «احتفالات الأكل» الاستعراضية.

يدخلون إلى المحافل بعيون زجاجية

لا ترى إلاّ صورة عَظَمَتهم في مرايا وهمية.

لا أجد الرقة الحنون في الرجل صفة نسائية «تخنثية»، بل ومضة من دفء القلب.

بوسعي أن أحب رجلاً يبكي ويلطخ نظاراته بدمعه.

لا أبحث عن «وحيد القرن» ذي الجلد السميك،

بل عن قلب مرهف يرتعش في ريح الحزن كلهبة شمعة،

لأحتفل معه ذات يوم بيوم الحنان...

يوم عودة لبنان إلى لبنان .

أرتاح لشاعر يخاف الصراصير والفئران والأرواح الشر.
والطغاة والكوابيس والكمّامات .

لا أبحث عن عمود كهرباء أتكىء عليه ،

بل عمّن أشاركه خوف الليل في احتفالات العنف الهمجية ،

وشوق القلب إلى أعياد لبنان السلام ،

وفرحة الفجر الذي سيطلع على تلك الشواطئ ذات يوم . .

أفتش عن مذعور مثلي

في ليل كوكبنا الوحش في الألفية الثالثة .

لنختبيء معاً بين وقت وآخر

كطفلين في الظلام يترقبان طلوع الفجر ،

ويحلمان بصحوة لبنان .

أدوية افتراضية

أيها اللامنسي، رحلتُ طويلاً ولم أغادرك...
ثمة حب لا شفاء منه يرحب به المريض، ويتناول الأدوية ضد التعافي منه...
حب يعيدني طفلةً في أرجوحة...
حب ينسيني المستنقع البيروتي
بكل تماسيحه التي تبكي ضحاياها بدموع ملوّنة في المهرجانات،
بكل ضفادعه التي تتوهم خطبها أشعاراً وحكماً مأثورة...
حب ينسيني متسوّلي الشعارات
وديكته ورماله المتحركة وضحاياه.
مع حبك، أنا مدمنة أملها الوحيد في عدم الشفاء،
فمَرَضي بك هو عافية حرفي.
بك أرحل دوماً إلى الحرية،
فالاسم الحركي للبنان هو الحرية.

قصص حب مع قطط افتراضية

كنتُ في العاشرة من عمري
يوم مات قطي الدمشقي الجميل،
ولم أبك!
قالت لي جدتي: صرتِ عجوزاً يا طفلتي ولم أعد قلة
عليك!
حين كبرتُ أحببت قطاً لبنانياً وسيماً.
كنتُ جنّية حين بدأنا معاً،
وتحولتُ إلى امرأة غير افتراضية حين عشنا معاً،
وعدتُ جنّية بعد فراقنا، ولم أبك!
حكايا الحب تنتهي حين تنتهي،
والمواء لا يُجدي...

الحمل الافتراضي

لقد قضى الحزن وطره مني،
لكنني لن أحبل باليأس!

حب داخل الزمان الافتراضي

في الثلاثين من شهر فبراير أحببتك،
حتى الهذيان أحببتك مرة،
خارج «الأصول» و«الروزنامة» والتقاليد
الحقائق المرة للحياة والقوالب الاجتماعية،
أحببتك، وشيَّدتُ لذكراك في أعماقي
قصراً أبهى من «تاج محل»،
وما زلتُ كل ليلة في الثلاثين من شهر فبراير
احتفل خارج كوكبنا، بحب خارج الزمان.

الاحتضار الافتراضي

في المقبرة، يحتضر السيد الموت وحيداً،
وقد تخلّت عنه عشيقاته وأتباعه
وعصابات عملت من أجله وميليشيات مكرّسة له.
يحتضر الموت وحيداً. .
وحدي أواسيه وأهبه حياتي رغم عداوتنا التاريخية،
فلولاه لما كانت الروايات والقصائد.

أنقذتُ موتي من حياتي الافتراضية

لا تصدِّق جثتي الهامدة على السرير.
لستُ ميتة لمجرد أنني لم أعد أتنفس وإذا لم تصدِّقني طالع كتبي الأربعين.
لا تقرأ شاهدة قبري،
شواهد القبور تكذب وتسجل تاريخ وفاتك
وهو في حقيقته تاريخ ميلادك،
لا تصدِّق شواهد القبور،
نحن الموتى نضحك منها كثيراً،
ونحاول بصوت الريح أن نقول للأحياء أننا بدأنا أخيراً تلك المسيرة الممتعة
من أنابيب الجسد إلى أنابيب الأبجدية
إلى الدورة الدموية لآلاف القراء...
إفرح بي، لأنني أنقذت موتي من حياتي،
واستطعت رغم جنوني أن أكتب.. جنوني!

القارئ الافتراضي

لا تتوهّم أيها القارئ أنك وحيد حين تقرأ سطوري،
تذكّر دائماً حين تطالعني، أنني معك أطالع روحك وأنك
تكتبني بقدر ما أكتبك،
فالقراءة كتابة صامتة.
إحرق صفحة الإهداء من كتابي بعد أن أموت وكالجنّيات
سيزورك حضوري...
وإذا كنت لا تخشى الأشباح، أصارحك بأن شبح كل كاتب
يقطن في كتبه..
ألا تشعر أحياناً أن غرفة المكتبة
مكان مسكون بالأرواح والهمسات
والضحكات والحشرجات اللامسموعة؟
أليست الأصوات اللامسموعة أعلى الصرخات؟
إذا أطفأت النور
وحدّقت في ظلام المكتبة بعد موتي
ستراني بوضوح!

دمعة افتراضية

ها أنت تجلس أمامي مثل الدائرة
لا أحد يعرف أين تبدأ وأين تنتهي
ها أنت تنكسر كخط مستقيم من ضوء أبيض،
وتصير قوس قزح في الذاكرة خرافي الجمال والألوان.
ها أنا أغادر أمزجتك وحالاتك،
وأترك لك اناً على قميصك المنسي عندي
اسمه: نيشان الأسنان التي تقرض حبل نجاتها!
مرة أحببتك... ومرة كدتُ أنساك.
وها أنا أذكرك بحنين وأرفضك في آن.
على الرغم مني ومنك ومن الحكايا الرومانسية: الحب أيض
يموت..
قيس لفظ أنفاسه من زمان.. وروميو مشلول.
وولّادة تحتفي بفقدان ذاكرتها ولمّا تجف دمعتها على ا
زيدون،
فمتى يهديني النسيان عباءته؟

تكّات ساعة افتراضية

هل كان بوسع امرأة مهووسة بالزمن مثلي
متوّجة على عرش تكّات الساعات
أن تحب إلا رجلاً مثلك،
كاتباً بوهيمياً لا يعرف توقيتاً إلا ما تعرفه النوارس عن مواعيد الفصول وترحالها؟
أحبك، لأنك عدو تكّات الساعة.
كل ما هو روتيني، هو افتراضي وتقريبي عندك.
في مفكرتك متسع دائماً لطوارئ خارج الزمان: كحكاية حب!
أحبك لأنك تحترف دهس ساعتك الثمينة
كصرصار تحت حذائك،
وتتقن الاستسلام العاقل لجنون اللحظة!

كابوس افتراضي

تأملتْ البومةُ المسالمة مدينتها وأخافها المشهد:
أراجيح العيد تهزها الأيدي المقطوعة اللامرئية،
لأشباح آباء قضوا في حروب عبثية.
البالونات الملونة بالسواد المليئة بالغازات السامة
تنفجر كقذائف حارقة في الوجوه.
الزمامير تُصدر أصواتاً كعويل الأرامل ونواح الأيتام.
الأفاعي تتدلى من الزينات.
دولاب مدينة الملاهي يُطلّ على مقبرة شاسعة.
سرادق العيد يرتجف في الزلزال.
البومة المسالمة تأملت ذلك بهلع،
وتشاءمت، واتخذت قرارها بالهجرة
وذهبتْ لتقف في الصف الطويل الحزين
للذين صارت هدية العيد عندهم:
تأشيرة سفر، وبطاقة طائرة الهجرة.

لحظة فرح افتراضية

أيها الشاعر الذي تتقن أبجديته لغة الطير والنجوم والريح،
أنت رجل غزير. أنت قبيلة رجال في جسد واحد.
أنت جمع بصيغة المفرد.
أنت ممنوع من الصرف من ذاكرتي.
أنت مبني للمجهول ولا أعرف ما يدور في رأسك وقاعك.
أنت المستثنى بإلاّ وبقلبي.
أنت جمع تكسير للواتي أحببنك.
أنت فعل ماض ناقص من حياتي،
وأداة لما يُستقبل من الزمن،
متضمن معنى شرط أوكسجيني وفرحي.
أنت «الحال» والمحال وحرف الجر إلى المباهج.
أنت غابة نبتت على غيمة داخل حلم طفل،
أنت.. لحظة فرح!

«الانترنت» الافتراضي

الليلة، قرعتُ أبواب المحار في قاع البحار بحثاً عن لؤلؤة نادرة لها بريق عينيك،

هدية عيد مني لبحيرتك..

فلم أعثر إلا على حطام سفن غارقة!

هل سئمت الشعر وتريد أن تعرف بلغة عصرية سر أحزاني؟

اقرأ إذاً بلغة النثر على شاشة «الانترنت» هذا النص من تقرير منظمة "مراسلون بلا حدود": «خسر لبنان موقعه الطليعي في العالم العربي في ميدان احترام حرية التعبير»!

فمن أية أشجار تريد أن أقطف لك زهرة العيد؟

مات العيد!

فكن عيدي في زمن النسيان.

محبرة افتراضية

مرّرتُ النجمة على جرحي
مثل ممحاة،
فصار جرحي ضوءاً أغمس فيه قلمي كمحبرة وأكتب به.
هل عرفت سر قوتي؟ لم يجف جرحي قط!

طفلة في مأتم افتراضي

لقد تجرعتُ حزني في الصحارى حتى الثمالة،
عاماً بعد آخر، دهراً بعد آخر، وأداً بعد آخر.
وحين خرجتُ من رمادي مرة بعد أخرى،
تحوّلتُ إلى جنّية غادرت قمقماً
ولم يعد بوسعك قتلي من جديد،
فأنا ككل امرأة عربية عصرية: طائر عنقاء!
لم يعد بوسعك سجني، فالدخان جسدي.
وها أنا اليوم أبحث من جديد عن طفلة كُنْتُها مرّة،
واضطررتُ للتخلي عنها لأستمر،
وأضعتُ ضحكتها!

عنواني الافتراضي بعد وفاتي

لا يهمّني أن تزرع صفصافة باكية
تُظلّل قبري حين أموت أو زيزفونة أو شجرة حور.
لا يهمني أن تزيّن قبري بالورود الحمر
أو نباتات الصبير والأشواك.
فأنا لن أكون مدفونة هناك حقاً،
فلا تصدّق شاهدة قبري التي تدّعي أنني أرقد تحتها.
داخل كتبي تجد قبري بعد موتي.
وكلما طالعتَها تكون قد زرتَه وأكرمتَه.
وسأراك ولن تراني، وسأحييك ولن تسمعني.
قلائل هم الذين يرون الأشباح، ويُصادقونها.
فلا تخف وصادق شبحي بين دفتَيْ كتابي،
فشبحي لطيف كبومة.

السقوط الافتراضي إلى الذروة

أنت رجل متاهة
وأنا أستمتع بالألغاز،
وأمشط شعري بالكلمات المتقاطعة،
وأزيّن عنقي بـ «كلمة السر» الماسية...
أنت مجرّة،
وأنا رائدة فضاء،
لا تحلم بغير الضياع في كونك السحري
في لحظة انعدام الوزن.
معك اكتشفتُ كيف يصير السقوط تحليقاً،
والقاع قمة.

جدّي الحقيقي وحبيبي الافتراضي

أسهر في قصر فرساي مع حبيبي الفرنسي،
أراقصه فوق أصابع البيانو وأوتار الكمان،
بين المرايا الشاسعة، ودانتيل التنهّدات،
ومخمل الترف، وغنج الموسيقى، وحرير العيون الثملة.
ولا أدري لماذا أظلّ أستحضر بحنين،
جدي الدمشقي العتيق المتقشف
في دكانه خلف الجامع الأموي بفقره الافتراضي،
ولا أريد أن أتنصّل من جماله وضياء روحه وعراقته.

نجوم افتراضية في الذاكرة

النجوم تشعّ في كل مدينة أَقمتُ فيها،
في لندن وباريس ونيويورك وجنيف وروما وزوريخ . . .
ولكن، كان لبريقها وميض سحري آخر ساطع كالبرق،
حين كنتُ أراها من شرفتي
في «ساحة النجمة» الدمشقية،
وأنا مراهقة لمّا ترحل بعد إلى أية مدينة أخرى.

أيها عمري الافتراضي؟

ثمة لحظات أشعر فيها أن حياتي كلها كانت وهمية
باستثناء أيامي الدمشقية وحبي الدمشقي.
وثمة لحظات يبدو لي فيها عمري الدمشقي حلماً هارباً
مثل مجرة ضوئية راكضة في الفضاء الكوني إلى اللانهايات...
أما حياتي الحقيقية، فهي تلك اللحظات الممتعة كلها والمرفوضة مني في لندن وباريس وجنيف ونيويورك وستوكهولم،
لحظات «الغربة» الافتراضية.
فأي النساء أنا، ومن هو حبيبي الحقيقي؟
أهو لبنان اللامنسي، الهادئ الساخر،
وفي عينيه نظرة تقول: أينما ولدتم، وكيفما تشردتم خراجكم عندي..
أنا الحرية والضوء الجمال، فهل هذه القيم افتراضية؟
إرحلوا بحرية وعودوا بحرية وحاولوا نسياني.
من ينسى طعم عاصمة الحرية العربية؟

سرقات افتراضية

أنا السارقة الصغيرة،
قضيتُ عمري وأنا أحاول اقتراف سرقات كبيرة وأفشل،
حاولتُ سرقة نار الأسرار مع شريكي بروميثيوس.
حاولت سرقة صندوق باندورا للآثام
مع شريكي الهولندي الطائر لإحراقه بما فيه،
فانفتح وطارت خفافيش الشرور.
حاولت سرقة حياتي من موتي بمفاتيح الكتابة.
حاولتُ سرقتك من دنياك ومن زماننا الآتي وفشلتُ.
حاولتُ بعدها اختطاف طائرة الذاكرة
إلى مملكة النسيان وفشلتُ أيضاً.
أنا سارقة الرمل عن شواطئ الأبدية بأصابع عارية،
وها كل شيء يتسرب من بين أصابعي،
وأصابعي تتحول إلى سُلاميات هيكل عظمي ملطخ بالحبر.
وحدها الابتسامة سرقتُها بنجاح من قارة حبنا.
حين غرقت قارة حبنا مع الأتلنتيد،
بقيت الابتسامة على شفتي تذكار حب لا يُنسى.

أنا السارقة الصغيرة
التي ستذهب إلى موتها مرتدية ابتسامتها
بدلاً من كفنها .

النوم الافتراضي

لا أجرؤ على النوم بلا معطف شتائي وقبعة وقفازين،
وسادتي مظلة القفز من الطائرات وثوب الغطس تحت الماء،
وسريري خشبة التزلج على الجليد.
فأحلامي وكوابيسي تقذف بي كل ليلة
إلى محيطات الألم،
والفضاء الكوني الممتلئ خواء،
مثل طفل انزلق من رحم أمه على حافة الهاوية. . .
ولكنني من داخل سقوطي،
أريد أن أظل أبتسم
حين يشرق القمر عليّ وأنا أهوي.

قطار افتراضي

قال لي صديقكَ إنه يحبني،
وكنا نقف فوق الطحالب التي غطّت قبركَ،
وسمعتك تلعنه من عمق ستة أقدام تحت التراب.
إنه ليس مذنباً،
إنه ذنب الحياة التي تستمر على سكّتها
راكضة ولا تبالي بمن يسقط من قطارها المسرع ثملاً
أو يقفز منه لسببٍ نبيل...
إنها الحياة التي تطحن كل شيء،
وتحرق في مرجلها الوجوه كلها.
أما سائق القطار فيُدعى: السيد النسيان!

غرفة بقضبان افتراضية

استطعتَ إيذائي. مزقتَ أوراقي،
صبغتَ جزمتك بحبري وكسرتَ محبرتي على قمة رأسي،
زرعتَ كلابك البوليسية في كل ركن من أبجديتي،
لكن مشرطك فشل في استئصال الابتسامة على شفتي.
ظلماتك لن تطفيء الضوء حتى داخل كوكب كوابيسي.
من جديد، ينبت برعم أخضر صغير
في الغرفة ذات القضبان، لحبٍ دامس المباهج.

الأشباح الالكترونية الافتراضية

كل حب، علاقة مع الافتراضي. . .
غرامي بك صلة مع الأشباح.
معك، أعيش الحب العذري الالكتروني،
حيث أجنحة الحنين أسلاك مكهربة،
حقول مغناطيسية لامرئية من الشهوات.
انه الحب على الانترنت،
توجناه بصور تذكارية رقمية!. . .
قرأت من زمان عن الحب في ضوء القمر. . .
القمر؟ هل يقصدون ذلك الكوكب «القاحل»؟
المحطة الأولى للرحلات الفضائية؟
وهل ثمة حب خارج الانترنت؟

وحده الوطن ليس افتراضياً

ليلة رحيلي عن دمشق،
همس أبي بلا صوت داخل قلبي:
اذهبي حيث شئتِ،
ولكن تذكري دائماً من أين جئتِ.
ولم أنس يوماً انتمائي إلى أكثر مدن كوكبي عراقةً،
مدينة استمرت رغم الفاتحين والقاهرين والجلاّدين.
ولم أقطع حبل سرّة الروح مع «زقاق الياسمين»،
ومساكب الفلّ والحبق والريحان في «ديار» بيت جدي.
ولم أتنصّل من مراكب الطفولة في اللاذقية مدينة أمي،
ولا من أعمدة تدمر مدينة جدتي زنوبيا.
ودرتُ حول الكرة الأرضية،
وكطفل الحكايا كنت أرمي خلفي خلسة بالحصى المضيء
الذي حملته «زوّادة» من وطني،
كي لا أضل الطريق إلى ابتسامتي...
هل عرفت لماذا أظل أبتسم
حتى وأنا جالسة على رأس دبوس؟!

كُتبت نصوص هذا الكتاب
بين عامَيْ ٢٠٠٢ و ٢٠٠٤

فهرس المحتويات

مطبعة دار الكتب ـ منطقة بئر حسن ـ مقابل ال BHV ـ بناية البارادايز ـ ٠١/٨٥٣٧٥٣